المجلة الدولية للإتصال الإجتماعي
جامعة عبد الحميد بن باديس- مستغانم
ISSN: 2437 – 1181
EISSN: 2710-8139

المجلد 3/ العـدد4: (2016)، ص78 – 90

الكاريكاتور العبثي في علاقته بالصراع الحضاري الديني

–شارلي إيبدو– الفرنسية انموذجا

The absurd caricature in its relation to the civilizational religious conflict

– Charlie Hebdo – French model

بلحاج حسنية[1]

*([1])جامعة وهران 2، (الجزائر) ، hasnia23@yahoo.fr

تاريخ الاستلام: 2016/10/3 تاريخ القبول: 2016/11/23 تاريخ النشر:30 /2016/12

الملخص

الكاريكاتور يسعى لتعرية الواقع والتعبير عن انشغالات واهتمامات الشعوب ونقل معاناتها بأسلوب تهكمي ساخر يحمل الكثير من الدلالات والخطابات الرمزية، فهو خاض مسيرة طويلة ودخل في صراع مع الأنظمة السياسية لأجل ترجمة مآسي الشعوب. وهو ما جعله يحظى بإقبال جماهيري كبير.

لكن الملاحظ في هذا النوع من الرسوم أنه مع الوقت ولاعتبارات كثيرة دخل فيما يعرف بالصراع الحضاري، خاصة مع تناول صحيفة (شارلي إيبدو) الفرنسية لكاريكاتور يسيء للرسول محمد صلى الله عليه وسلم، وهو ما اعتبره المسلمون إساءة للمقدس وأثار الكثير من الجدل. فنحن من خلال هذه الدراسة الميدانية سعينا لاستظهار الأوجه المرتبطة بالقضية، من منطلق أن للكاريكاتور أهدافا يسعى لتحقيقها، ترتبط أساسا بمشاكل المجتمع بعيدا عن الخوض في قضايا تتعلق بالمقدس والإساءة إليه.فعلى مدار قرون طويلة كانت هذه هي رسالة الكاريكاتور، لنجده اليوم وتحت طائلة حرية التعبير يتناول مواضيع حساسة فيما يعرف بالعبث.

– الكلمات المفتاحية: االكاريكاتور، السخرية، الفكاهة، العبث، الصراع الحضاري الديني.

Abstract

who seeks to expose the reality and express the concerns and concerns of peoples and transfer their suffering in a cynical sarcastic manner that carries many symbolic connotations and symbolic rhetoric, as he fought a long march and entered into a struggle with political systems to translate the tragedies of peoples. This made him very popular.But what is noticed in this type of drawings is that with time and many considerations he entered what is known as the civilized conflict, especially with the French newspaper (Charlie Hebdo) caricature insulting the Messenger Muhammad, may God bless him and grant him peace, which was considered by Muslims as an insult to the sacred and sparked a lot of controversy.Through this field study, we sought to explore aspects related to the cause, in the sense that the caricature has goals that it seeks to achieve, mainly related to the problems of society far from delving into issues related to the sacred and offending it.
Keywords: caricature, satire, humor, absurdity, religious civilization conflict.

[1]* ،المرسل بلحاج حسنية الاميل المرسل بلحاج حسنية الاميل، hasnia23@yahoo.fr ،

1. مقدمة

يعتبر الكاريكاتور ظاهرة سوسيو تاريخية على درجة بالغة من الأهمية، من حيث أنه يعكس وجه حضارة ما، ويخلّف بصمة تمكّن الجيل اللاحق من معرفة تفاصيل ما خلّفه الأوائل، وهذا يحيلنا إلى فكرة الاستمرارية والتواصل بين الأجيال بعيدا عن القطيعة التي كثيرا ما عرفتها المجتمعات جراء تغييب الإبداع، والرسوم الكاريكاتورية جزء من إبداع الإنسان، يشكّل في مجمله فنا وبالتالي فهو جزء لا يتجزأ من حضارة البشر، فالموجود اليوم في الصحراء الجزائرية يمثل حضارة ونمط عيش عرفه الإنسان في فترة من فترات التاريخ، وهو الآن في حاجة إلى من يتكفّل به لدراسته وفك طلاسمه، التي من شأنها مطالعتنا بحقائق ووقائع كثيرة، بمعنى أن تلك الرسومات لم توجد عبثا إنما لأسباب ودوافع فرضتها تلك الفترة، والدليل على ذلك أنها محل اهتمام بعثات فرنسية كثيرة تعنى بدراستها، محاولة الوقوف ولو على جزء بسيط من مضمونها، وعليه فغالبية الدراسات تؤرخ للكاريكاتور من منطلق ما تختزنه الصحراء الجزائرية من إرث محفوظ على جدران الكهوف والمغارات، فقد يظهر أنها صور جنسية لكنها في حقيقة الأمر تتعدى ذلك من حيث أن مضمونها يحاول من خلال ما هو جنسي الوصول إلى ما هو أبعد من ذلك، وهي نقطة ما تزال تحيّر الباحثين والدارسين لحد الساعة. فالعديد من الدراسات، ترجع نشأة الرسوم الساخرة إلى عصور غابرة منذ خط الإنسان طلاسم وتعابير مختلفة على جدران الكهوف والمغارات التي سكنها أو على جدران المباني التي شيدها، فكانت البداية برسومات لمحيط حياته البدائية بما تحمله من تفاصيل يومية أو كائنات حية أخرى تعايش معها، فاللوحات التي أبدعها الإنسان أخذت بالتطور من حيث الأداء والوسائل حتى وصلت من جدران الكهوف إلى أعمدة الصحافة المكتوبة ولاحقا عبر الأنترنيت، فالكاريكاتور كفنّ تعبيري تعود جذوره إلى الرسومات والمنحوتات الصخرية الأولى التي اكتشفها علماء الحفريات والآثار، فقد أكدت البحوث التاريخية الميدانية وجود رسومات تحمل في طياتها عنصر السخرية ومنها ما وجد في صحراء الجزائر مثلما سبقت الإشارة إليه، والرسومات القديمة التي وجدت على الجدران، اتسمت بطابعها التوثيقي، فضلا عن كونها في بعض الأحيان ساخرة، مع الإشارة إلى أن درجات السخرية والتوثيق متباينة بين آثار حضارة وأخرى، فآثار الحضارة الإغريقية تعتبر من أكثر الحضارات القديمة احتواء على المبالغة الساخرة سواء من ناحية الشكل أو المضمون، ومع التطور الحضاري ومضيّ الزمن تطورت معالم هذا الفن وأصبحت له العديد من الأسماء والأشكال، ومنها الكاريكاتور، فمارسته معظم الأمم والشعوب وعملت على تطوير تقنياته. (**الفقيه، خ. 2011: 36**)

هذا التقديم التاريخي رأيناه ضروريا قبل الخوض في مسألة الهوية، لإظهار الرسائل التي ركز حولها الكاريكاتور في السابق، إذ كان ينتج بطريقة فنية راقية بعيدا عن المساس بالمعتقد وما يرتبط به، من حيث أنه يعتبر وببساطة حرية تحترم ولا يحق لأي جهة مهما كانت العبث به والإساءة إليه، لكن الملاحظ اليوم أن الدين أصبح مادة دسمة تصنع اسما وشهرة لأشباه الكاريكاتوريين اللذين أقحموا أنفسهم في صراعات وحسابات سياسية قد لا تنتهي و(شارلي إيبدو) الهزلية واحدة من الوسائل التي سخرت لذلك بعدما اختزلت معادلة الخصوصية الثقافية

واحترام معتقد الآخر وسعت للظهور تحت طائلة معطيات كثيرة بما فيها حرية الرأي والتعبير التي يبدو أنها تتنفس فقط عند الحديث عن الإسلام ومقدساته وتختفي حين وجود معطيات تتعلق باليهودية والمسيحية، ما يعني أن الإسلام اليوم هو فعلا (فوبيا) في الغرب يربطونه بالإرهاب والوحشية والهمجية وهو ما ساهم فيه الإعلام بشكل كبير، بعدما جعل حوله هالة كبيرة.

الإشكالية:

لكل مجتمع ثقافة ولكل ثقافة هويتها الخاصة التي تنطلق منها وتخضع لها في جميع نتائجها، وتتمثل فيما يمكن أن نسميه "نسق القيم الإنسانية"، وينبثق نسق القيم الأساسي للثقافة من النظام الرائد الذي قد يكون عبارة عن دين أو أسطورة أو مذهبية، فيشمل كل أنحاء الثقافة متغلغلا في كل جزء منها. **(عباسي، ن. 2010: 219)**

والكاريكاتور واحد من الاستراتيجيات المعتمد عليها في المساس بالمقدسات وتشويه الدين، ضمن سياق ما يعرف بثقافة الاختراق، فالثقافة حاليا تخترق وتتعرض رموزها للإساءة، وهو ما سارت عليه صحيفة (شارلي إيبدو) الساخرة في فرنسا التي تعرضت لشخص الرسول صلى الله عليه وسلم بتفاصيل وحيثيات مستفزة لمشاعر المسلمين تحت غطاء حرية التعبير، هذه الأخيرة التي توظف وفق تفاصيل سياسية لتوسيع الهوة بين الإسلام وباقي الديانات التي ترى التعرض لمقدساتها ممنوعا فيما يعتبر مباحا حال تعلق الأمر بالمسلمين ورموزهم وهي الحلقة التي تحتاج إلى طرح خاص لاستيعاب معطيات الوضع وما يرتبط به.

فالدين في كل المجتمعات يعد من المقدسات الممنوع الخوض فيها أو العبث بها لخصوصيتها وقيمتها، ما يعني أن الدين ثابت لا يحتمل التشويه أو التلاعب تحت أي ظرف أو معطى كان، فلا السياسة يمكن لها أن تصل إليه أو أن نجعل منه رهانا لتمرير استراتيجياتها وبرامجها، رغم أن الواقع اليوم يظهر العكس من حيث أن السياسة تستثمر في الدين وتجعله ضمن الواجهة كورقة رابحة من شأنها الضغط والتأثير في الأفراد.

فالكاريكاتور واحد من الأساليب التي تغلغلت صوب الدين وسعت لاستعراضه بطريقتها الخاصة حسب ما عكسته (شارلي إيبدو) الفرنسية وخوضها في رموز الإسلام ومقدساته تحت غطاء حرية التعبير، هذه الأخيرة التي لها ضوابط ومحددات لا يمكن أن تلتقي بأي حال من الأحوال مع ما يسمى الدين وتشويهه.

فالكاريكاتور لا يسير وفق هذا النهج، لأنه وجد للتعبير عن اهتمامات ومشاكل الشعوب، لا التجريح وانتهاك الخصوصية الدينية وإدخالها ضمن الصراع الحضاري الموجه من طرف الأنظمة السياسية التي تتخذ منه مادة دسمة لتمرير مشاريعها ومخططاتها.

ومنه يمكن طرح التساؤلات الآتية:

1-هل تمنح حرية التعبير صحيفة (شارلي إيبدو) أحقية الخوض في مواضيع ذات علاقة بالمقدس؟

2-كيف يمكن للكاريكاتور أن يعالج قضايا الشعوب بعيدا عن تشويه الدين ورموزه؟

3-هل وظفت (شارلي إيبدو) الكاريكاتور لإدخال المجتمعات فيما يعرف بالصراع الحضاري الديني؟

الفرضيات:

من الفرضيات التي يمكن الإشارة إليها:

1- تضمن كاريكاتور (شارلي إيبدو) الفرنسية قضية تندرج ضمن سياق العبث والإساءة إلى الدين ورموزه.
2-كاريكاتور (شارلي إيبدو) استراتيجية لنشر العنف وإدخال المجتمعات في صراع حضاري ديني مقصود.
3-حرية التعبير والديمقراطية لا تلتقي وفكرة الإساءة إلى الأديان وتشويهها.
4-حاولت (شارلي إيبدو) تمرير فكرة ساخرة وهزلية بعيدا عن الحسابات السياسية والتطرف وكل ما له علاقة بالعنصرية.

منهجية البحث:

وهنا كانت البداية مع **الدراسة الاستطلاعية** لجس نبض الميدان، فأولى الخرجات كانت بعد وقوع الحادثة مباشرة بتاريخ 07 جانفي 2015 لمعرفة ردة فعل المجتمع بمختلف شرائحه من الواقعة، لنعود مرة أخرى بعد أسبوع عقب نشر رسوم أخرى مسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام وكان ذلك بتاريخ 14 يناير 2015 وكان المجتمع ما يزال مرتبطا بما حدث ويحاول معرفة تفاصيل جديدة عن القضية، والكل يسعى لتمرير وجهة نظره وبالطريقة التي يرى أنها أقرب إلى الصواب، فهناك من تلمس في حديثه خط الإعلام وكلام الصحافة وهناك من تجده مندفعا وناقما على الآخر، ومنهم من يقف موقفا وسطا من كل ذلك، أما المعاينة الثالثة فكانت أواخر شهر جانفي 2015 لتشخيص الميدان أكثر والوقوف عن كثب على كل ما يرتبط به من معطيات، لنعود إلى الميدان نهاية شهر فيفري لإجراء المقابلات مع المبحوثين.

فالهدف إذن، سيتمحور حول الكاريكاتور وأساليب توظيفه، خاصة بعدما أقدمت صحيفة (شارلي إيبدو) الفرنسية الساخرة على إهانة الإسلام ومقدساته تحت غطاء حرية التعبير، رغم عدم التقاء ذلك وفكرة المساس برموز الدين، مع ضرورة احترام خصوصية الشعوب مهما كانت وهو ما يشجع الحوار الحضاري ويختزل كل معطى من شأنه أن يوسع الهوة بين الأديان وهو ما نادت به مواثيق حقوق الإنسان ومختلف المنظمات الحقوقية.

وعليه، سنسعى لاستظهار السبب الكامن وراء طرح الدين بهذا الشكل والإساءة إلى مقدساته، مع محاولة الوقوف على أهداف الكاريكاتور العبثي الذي أصبح يخوض في مواضيع تعمق الفوارق بين الشعوب وتزيد من حدة الصراع الحضاري خدمة منه لمساعي سياسية معروفة الأهداف سلفا، وهي إيجاد هالة كبيرة حول الإسلام وجعله دين تخويف وترهيب وفوبيا حقيقية.

تأسيسا لما سبق، فقد اعتمدنا **منهج التحليل الوصفي** من حيث أنه أكثر ملائمة لمواضيع من هذا النوع، حيث سنقوم باستعراض جل المعطيات المرتبطة بالظاهرة وتحليلها استنادا لما أفرزه الميدان.

أما فيما يتعلق **بمجتمع البحث**، فإننا ركزنا واستجابة لطبيعة موضوعنا حول المسلمين باعتبارهم المعنيين بالحدث، وكانت الدراسة بمدينة وهران الجزائرية لمعرفة فكرة المجتمع حول الظاهرة وردة فعله اتجاه ما قام به الكاريكاتور من تشويه وإساءة للدين.

وعند حديثنا عن **العينة** نجد أنفسنا أمام معادلة جد مهمة في نجاح البحث العلمي، من حيث أن دقتها واختيارها الجيد يعطي أو يحقق قيمة كبيرة للموضوع، وعليه فقد جاءت عينة الدراسة **متنوعة échantillon varié**، بمعنى أنها ركزت حول أفراد من مختلف الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية.

ووقوفا عند الموضوع ولاستجلاء جوانب مختلفة منه، استخدمنا **تقنية المقابلة**، لأنها أكثر تقنية من شأنها خدمة الموضوع، بدليل ما ستطالعنا به من تصريحات، وهنا كانت **المقابلة نصف الموجهة** حاضرة، من خلال طرح الأسئلة على المبحوثين والاستماع إلى إجاباتهم، علما أنها كانت تتم بين فترات زمنية منتظمة مع كل واحد منهم، كما أننا اضطررنا لمسايرة ظروفهم.

وعليه، فقد قمنا بإجراء **خمس مقابلات (05)** مع أشخاص من مختلف الفئات العمرية والشرائح الاجتماعية، ثلاثة (03) ذكور و (02) إناث، وهذا الاختيار لم يأت عشوائيا، بل أدرجناه على هذا النحو لنعطي الفرصة لكلا الجنسين للحديث عن هذه القضية التي شدت اهتمام الجميع.

أما بالنسبة للمعنيين بالدراسة فهم بالنسبة للذكور: (خضار 35 سنة، خباز 26 سنة، متقاعد 70 سنة)، أما بالنسبة للإناث: (عاملة نظافة 43 سنة، ماكثة بالبيت 58 سنة).

2-ثنائية الكاريكاتور والعبث: (المفهوم والسياق)

1-1 تعريف الكاريكاتور:

هي كلمة مشتقة من الفعل **Caricare** في اللغة الإيطالية، الذي يقصد به الحشو من خلال الإضافات المبالغ فيها أثناء إعداد رسم ما، ليتم تحوير تلك الصورة وتقديمها في قالب فكاهي ساخر وهو ما ظهر من خلال الرسومات الكاريكاتورية الموقعة من طرف "دومييه" « **Daumier** »، فالكاريكاتور هو وصف كوميدي مضحك يتناول شخصية ما في المجتمع. **(Le petit Larousse Illustré, 2010. 172)**

وهناك من يرى أن كلمة كاريكاتور اشتقت من الفعل **Caricare** مثلما سبقت الإشارة إليه في اللغة الإيطالية الذي يعني في اللغة الإنجليزية **To Load**، أما في اللغة العربية فإن المقصود به الحشو أو إدخال إضافات على الواقع، بمعنى إلى موضوعات الرسوم الكاريكاتورية، هذا ويشير العديد من الباحثين أن مصدر كاريكاتور مشتق من كلمة **Carattere** الإيطالية التي تحيلنا إلى **Character** بالإنجليزية، أو أنها قد اشتقت من اللفظة الإسبانية **Cara** التي تعني بالإنجليزية **Face** أي الوجه، مما يعني أن وجه الإنسان كان نقطة بداية أو انطلاق لدى غالبية الرسامين الذين ركزوا حول وجوه الشخصيات بإدخالهم إضافات عليها، كتكبير حجم الأنف مثلا أو الذقن أو الجبهة أو أن يعمل على إبراز هذه الجوانب لأهميتها، مما يثير اهتمام القارئ أو المتتبع ويضفي نوعا من السخرية والفكاهة. (حجاب، م.**2004**: **438**)

جدول رقم 01: يبين أنواع الكاريكاتور [1]

نوع الكاريكاتور	اهتماماته
*الكاريكاتور السياسي * الكاريكاتور الاجتماعي *الكاريكاتور الثقافي *الكاريكاتور الرياضي	*معالجة القضايا والمواضيع السياسية وتعريتها *الاهتمام بالشأن الاجتماعي المتعلق بالوضع العام للمواطن ويلتقي مع النوع السابق *ملامسة القضايا الثقافية *التركيز حول كل ما يتعلق بالشأن الرياضي

المصدر: حسنية بلحاج، (2014). "الخطاب السياسي في الرسم الكاريكاتوري". أطروحة مقدمة لنيل شهادة دكتوراه علوم في علم اجتماع السياسي، (310).

2-1 مفهوم العبث:

بدأت العبثية كتيار أدبي في فرنسا ومن هناك انتقلت إلى مختلف الآداب العالمية، وخاصة تلك الدول التي عانت من ويلات الحرب، فقد تولدت قناعة لدى الكثير من الأدباء بأن المسلك العقلي قد يدمر في لحظات قليلة ما بناه الإنسان في سنوات طويلة وخاصة حين تسيطر على الإنسان شهوة التدمير، وجسد الأدباء فلسفة العبثية في كتاباتهم من خلال الرموز وما قد تحمله من دلالات تعكس شطحات العقل الإنساني ورؤيته المشوشة والمضطربة في الكثير من الأحيان، تلك الرؤية التي تجمع بين القبح والجمال والأسطورة والواقع.

وقد جنح جميع كتاب الأدب العبثي في أعمالهم إلى استخدام السخرية والتناقض وتحقير المنطق والكوميديا السوداء واللامبالاة والجدل الفلسفي بشأن حياة الإنسان كونها "لا شيء" هذا بالإضافة إلى دراسة السلوك الإنساني تحت وطأة ظروف معينة لتظهر وكأنها بلا أي هدف وعبثية فلسفيًا سواء كانت تلك الظروف واقعية أم من وحي الخيال.

https://www.noonpost.com/content/26656

2-الرسوم المسيئة إلى الرسول صلى الله عليه وسلم وارتباطها بالعنصرية:

2-1 المقدس في مواجهة حرية التعبير:

في 30 سبتمبر 2005 قامت (صحيفة يولاندس بوستن) الدانماركية بنشر 12 صورة كاريكاتورية للرسول صلى الله عليه وسلم، ما دفع بالجمعيات الإسلامية إلى التحرك احتجاجا على ما وصفوه بالإساءة إلى النبي محمد، مطالبين الصحيفة بتقديم اعتذارها لكل المسلمين عبر كل أصقاع العالم، لكن ما لوحظ آنذاك هو صمت مختلف الأوساط السياسية والإعلامية الفاعلة، التي سجلت غيابها وعدم تضامنها مع المسلمين في قضية لها علاقة بالمقدس.

فما كان ملاحظا في تلك الرسوم، هو احتواؤها على قدر كبير من العنصرية والأفكار النمطية في حق الإسلام والمسلمين، فنجدها مرة تصوّر الرسول الكريم مرتديا عمامة على شكل قنبلة وفي ذلك إحالة إلى ظاهرة الإرهاب وإلصاقها بالإسلام ومرة أخرى يتم تصويره وهو يحمل خنجرا وخلفه امرأتان، وهي كلها رسوم كان الهدف من وراءها تشويه صورة الإسلام والإساءة إلى تعاليمه وترسيخ فكرة التمييز وغرس الكراهية بين الديانات. (**حمود، ع. 2010: 90)**

كما قامت صحيفة (شارلي إيبدو) الفرنسية بنشر رسومات مماثلة تسيء للإسلام ورموزه مرات عديدة، ما أثار حفيظة المسلمين اللذين طالبوا بضرورة احترام الإسلام ورموزه وعدم الإساءة لأي دين، فالأديان ينبغي أن تحترم ن حيث أنها تعبر عن هوية الشعوب وامتدادها الحضاري.

ولمعرفة وجهات نظر المبحوثين حول هذه القضية، كان لنا حديث مع أحدهم وهو **(متقاعد)**، إذ أشار إلى: ***"هادي شارلي إيبدو تجاوزت قاع الحدود، وصلت للدين وهاد الشي ما يقبله لا العقل ولا حتى شي، الدين حاجة عزيزة وغالية ما يتوشيه حتى واحد، وهنا ما كان لا حرية تعبير لا والو"*** .

فكلامه، جاء ليوضح أنه لا علاقة لحرية التعبير بهذا النوع من الممارسات التي تتطاول على دين الآخر، فحرية التعبير مضمونة ولا يختلف حولها اثنان، لكن يجب أن توظّف وتستغل في سياقها العام، لا لتصفية الحسابات وزرع الكراهية والعنصرية بين شعوب العالم، والجميع يعلم أن هدف الكاريكاتور هو ترجمة معاناة المجتمع ونقل اهتماماته لا الخوض في مواضيع ذات علاقة بالمقدس والتي قد تفتح نيرانا كثيرة وتتسبب في إحداث أزمات وحالات استنفار قصوى، فتلك الرسوم أحدثت نوعا من الشرخ بين الأديان وطالعتنا بفكرة صدام الحضارات وصراع الأديان التي ما تزال لحد الساعة متداولة من طرف عناوين صحفية وحتى كتابات أكاديمية على أمل تجاوز هذه الثغرة، فجراء الرسوم المذكورة أعلنت حالة طوارئ وطالبت العديد من الجمعيات الإسلامية المسلمين بمقاطعة الكاريكاتور لأنه لا طائل من وراءه سوى المشاكل وتخليف الضرر، فكما هو معلوم أن الدين من الأمور المهمة في حياة كل مجتمع وكل إساءة إليه فيها ضرب لمعتنقيه وحتى تشكيك فيه وفي تعاليمه، ومنه نصل إلى نقطة مهمة، مؤداها أن هذا النوع من التصرفات ليس جرأة ولا علاقة له بحرية الرأي والتعبير، إنما تعدي صريح وواضح على خصوصية الآخر وامتداده وهذا ما كانت قد عكسته تحليلات الكثير من المهتمين والمتتبعين للوضع آنذاك من مشايخ وخبراء في الشأن وحتى مختصين في علم الاجتماع، فهذه الخطوة كان

هدفها الدخول في صراع حضاري مع الآخر وأيضا لتتمكن تلك الصحيفة بمعية رسامها من تحقيق شهرة واسم في الساحة الإعلامية، والمعروف أن الكاريكاتور الذي يتحرك على هذا النحو لن يكون بإمكانه الصمود طويلا جراء تغييبه المهنية وتركيزه حول البعد التجاري.

كما أشار مبحوث آخر وهو **(خضار)**: *"عيب كبير شي ليصرا، علاش يدخلو الدين ويلعبو بيه، هادي حرب بغاوها ودخلو فيها الكاريكاتور، حنا مشي إرهابيين والرسول تاعنا حاجة كبيرة وعظيمة، دينا مليح وفيه التسامح والمحبة ما فيهش الكراهية والحقد، الكاريكاتور خدمته يوعي الناس ويقول شراهم باغيين، مشي يلعب لعب مسخ كيما هادا"*.

فهو من خلال كلامه، حاول جعل المقدس في الواجهة وضمن سياق الأمور الواضحة التي لا ينبغي لأي كان الإساءة إليها أو التعرض لرموزها بأسلوب تهكمي ساخر ومشين في نفس الوقت مثلما هو حال الرسول عليه الصلاة والسلام، معتبرا إياه شخصية عظيمة فهو سيد الخلق الذي أرسى دعائم مفاهيم عديدة بما فيها الحرية، التسامح والأخوة والتعاون وسعى جاهدا لتطبيقها على أرض الواقع وقائمة أخرى طويلة من المبادئ السمحاء التي نهل منها الغرب ونسبها لنفسه في النهاية، وهم أكثر الناس يقينا بأن الإسلام هو أول من نادى بها، ويكفيه أنه نبذ الكراهية والعنصرية وأي شكل آخر من أشكال التطرف والعنف، فمن خلال ريشة رسام كاريكاتوري قد يكون محسوبا على هذا النسق تسربت الإساءة ومست برمز من رموز الدين، وهي مهمة أو حرب عمدت بعض الجهات إلى إقحام الكاريكاتور فيها تحت غطاء حرية الرأي والتعبير، هذه الأخيرة التي تتبرأ من كل ما من شأنه تجريح الآخر أو المساس بمقدساته في حال ما إذا علمنا أن مهمة هذا الفن نقل معاناة ومشاكل المجتمع لا الاصطياد في المياه العكرة، وهي معطيات سوسيولوجية يعلمها ممارسو الكاريكاتور الحقيقيين لا أشباه هذا الفن المحسوبين عليه، واللذين بإمكانهم التسبب في خلط أوراقه بالكامل عقب مسيرة ومشوار طويل من العناء لتحقيق قاعدة شعبية، كل هذا يقال استنادا إلى نظرية المسؤولية الاجتماعية التي ظهرت في أربعينيات القرن الماضي، مؤكدة ضرورة تفادي الخوض في مواضيع وقضايا لها علاقة بالعنصرية والجريمة أو أي نوع آخر من أنواع الإساءة أو الإهانة، والشخص المهني يدرك ذلك ولا يمكنه المغامرة والمجازفة ورهن مصير عمله تحت غطاء حرية الرأي، فلكل مسألة ضوابط وميكانيزمات توضّح طريق الوصول، مركزة حول نقطة البداية لأنها الأساس.

من جهتها، مبحوثة أخرى وهي **(عاملة نظافة)** تحدثت قائلة: *"la civilisation مشي كي تحقر لاخر وطيح بيه، حنا قاع بشر وعندنا قيمة وحدة، علاش يتوشولنا الرسول تاعنا، وزادو كملوها كيدارو فيلم عليه، هادي حرب ضد الإسلام الناس قاع علابالهم بيها، الإسلام دين مليح وقوي مشي تاع إرهاب وقنابل وحقرة كيما قالو هوما، الإسلام ما يحقرش المرا كيما صوروه هوما، الإسلام كرمها وعطاها قيمة كبيرة غي لي ما يعرفش وجاهل، هادا رسام كاريكاتور من شارلي إيبدو دار هداك التبهديل على خاطرش ما يفهمش، خلصوه وباع ضميره، ما يليقش نعمّو ونقولو الكاريكاتور والو كيما قالو بزاف ناس، هو مليح عند ماليه لي يفهمو خدمتهم ويعرفو شا يوصلو للناس، الكاريكاتور لي يضر ويتوشي les sentiments مشي حالة وعمره لا يوصل"*.

فهذه الوجهة، جاءت كسابقاتها تصب في نطاق حالة استنفار ورفض لما أقدمت عليه (شارلي إيبدو) التي لم تتوان لحظة في تجريح المسلمين وتمثيلهم في صورة إرهابيين، لا علاقة لهم مطلقا بالحضارة والتقدم، وإظهارهم كالوحش الذي يحتقر المرأة وينقص من قيمتها، وهو أمر لا يمت بأي صلة إلى الإسلام وبشخص الرسول عليه الصلاة والسلام ويكفي أنه خص المرأة بتكريم مميز ومن آخر وصاياه الرفق بالمرأة، وهو ما اعتبر حربا شرسة تطال الإسلام بمباركة أوساط عديدة همّها الافتراء والتطاول على الدين، فنسب إليه الظلم والقتل والإساءة لبني البشر وهي تهم غير مؤسسة، بدليل أن الإسلام جاء واضحا، بيّنا اعتمد على الاتصال في نشر دعوته على عكس ما يروج له اليوم من حيث أن الغرب هو من كان سباقا إلى بناء وتداول هذا المفهوم (الاتصال)، وما زاد الأمور تعقيدا هو عرض فيلم حول شخصية الرسول الكريم، ما خلّف ردة فعل عنيفة وسط المسلمين بدليل ما حدث في ليبيا عقب مقتل السفير الأمريكي (كريس ستيفنز) بمدينة بنغازي، ليزداد الوضع تفاقما وتلتصق بالإسلام تهم لا حصر لها كالوحوش والهمجيين اللذين لا علاقة لهم مطلقا بالأساليب الحضارية، فلغتهم العنف والجريمة لا غير.

وضمن هذا السياق جاءت التصريحات واحدة وتصب ضمن نطاق واحد، فكلها ترفض ما قام به الكاريكاتور وتستبعد علاقة حرية التعبير بالأمر، فهي لا تتخذ من الدين ورموزه أرضية لتمرير أفكار عنصرية.

2-2 تبعات ومخلفات الكاريكاتور العبثي:

وما دمنا قد تحدثنا عن الفيلم المسيء للرسول الكريم، ينبغي لنا أن نعرّج حول هذه النقطة لارتباطها بسابقتها المتمثلة في الرسوم الكاريكاتورية، فالفيلم حمل عنوان (محاكمة نبي الإسلام) تم عرضه بتاريخ 11 سبتمبر 2012 تزامنا والذكرى الثانية عشرة لأحداث 11 سبتمبر، فمن خلاله أقدم أقباط الولايات المتحدة الأمريكية على الإساءة للرسول صلى الله عليه وسلم بتواطؤ مع القس الأمريكي (تيري جونز) منتج العمل، فقد عمّت حالات غضب واستياء كبير الأمة الإسلامية قاطبة، منادية بضرورة نصرة النبي الكريم في المحاكم ومعاقبة المتورطين، بعدما تمت الإشارة إلى اسم المحامي المصري الأصل (موريس صادق) والدكتور (عصمت زقلمة) كطرفين مهمين في القضية، عملا على إشعال نار الفتنة بين الأقباط والمسلمين في مصر لتكون السينما آلية نحو ذلك، لكن الملاحظ هو عدم استجابة الأقباط لمثل تلك المخططات، بدليل مطالبة 120 منظمة قبطية بوقف عرض الفيلم المسيء، (**شلابي، آ. 2012: 10**)، بالإضافة إلى حالات استنفار قصوى شهدتها العديد من الأقطار كتلك الحاصلة بليبيا ومقتل السفير الأمريكي اختناقا بعد هجوم على القنصلية ببنغازي.

3- موقف السلطة الدينية كجماعة ضاغطة من الإساءة للمقدس:

3-1 موقف الدول الإسلامية:

بدورها، الجزائر سجلت حضورها آنذاك من خلال اعتبار العديد من التكتلات السياسية والمواطنين الفيلم المذكور عملا استفزازيا هدفه تأجيج الحقد والكراهية، موازاة مع ذلك أدان كل من مفتي الأزهر "علي جمعة" ومفتي القدس "عكرمة صبري" وعدد من العلماء الفيلم الأمريكي المسيء إلى الرسول عليه الصلاة والسلام في الدورة العشرين لمجمع الفقه الإسلامي التابع لمنظمة التعاون الإسلامي المنعقد لأول مرة بمدينة وهران في الجزائر وإفريقيا

بتاريخ 13 سبتمبر 2012، معتبرين الفيلم مجرد تفاهة لا يمكن لها أن ترقى إلى منزلة سيد الخلق، **(شبرة، ص. 2012: 07)** وتزامنا مع ذلك سجلت حالات غضب شعبي في كل من السودان، لبنان، العراق وتونس وكذا اليمن مع إقدام السلفية بالمغرب الأقصى على إحراق العلم الأمريكي بمدينة سلا القريبة من العاصمة الرباط أمام أحد المساجد، كما سجلت حالات استياء بالهند، إيران، كينيا، نيجيريا واندونيسيا وماليزيا، الأردن وفلسطين، وهي الاحتجاجات التي خلّفت خمسة (05) قتلى وعشرات الجرحى في النقاط المذكورة. **(مصطفى، د. 2012: 11)**

3-2 الكاريكاتور بين ما هو موجود وما ينبغي أن يكون عليه:

كل المعطيات السابقة، تصل بنا إلى نقطة مهمة، وهي أن الغاية الرئيسة من الكاريكاتور كعمل صحفي يواكب الأحداث والوقائع، هو خدمة الجماهير بالدرجة الأولى وتمكينها من تشكيل هالة كبرى من الوعي، تتسلح بها لمواجهة كل ما هو مغرض وعبثي وكل خروج عن هذه القاعدة يعتبر ثغرة وتجاوزا، يصبح بموجبه هذا الفن في حاجة إلى ترشيد، فهو لا ينبغي له أن يكون ساخرا لمجرد السخرية، وإطلاق نكت هكذا في الفضاء العام، لأنه في هذه الحالة سيصبح أداة استلاب توعوي وفكري ويكون أكثر من عبثي ويضيّع صاحبه قبل غيره. **(الطعان، ب. 2008: 12)**

فالدين أصيل في الإنسان، لذا يظل الملجأ الذي يأوي إليه، لا سيما بعد أن تعزز بنزول الكتب السماوية ورسالات الله، فتوطدت العلاقة بين الإنسان والدين وتعمقت حقيقة عقدية في كيانه توحي بأن للكون إله حقّ أن يعبد ويوحّد ويطاع، غير أنه في ظل الانفجار المعرفي الذي يشهده العالم وفي ظل ثقافة العولمة وعولمة الثقافة التي تنطوي على درجة عالية من العلمنة وتغلب المادة وتمثل الحياة العاجلة واختزال الإنسان في بعده المادي الاستهلاكي، اهتز مفهوم الدين وتعرّضت مقدساته للسخرية والانتهاك تحت طائلة حرية التعبير، مما عرّضه للامتهان والتشويه الذي عمّقه غياب الوعي وتنكّر الأفراد لهويتهم وخصوصيتهم على حساب هوية عالمية، تختزل الإنسان في مدى قدرته على الذوبان في الآخر وتبني ثقافة الإذعان. **(العوير، ل. 2010: 49)**

لقد سعت العولمة لتوجيه آلياتها الفكرية والتقنية باتجاه العالم الإسلامي في نقد واسع لتراثه وتاريخه وثقافته، وجعل مقدساته عرضة للانتهاك والسخرية قصد زعزعة الرؤية الدينية وخلخلة البنية الأخلاقية للمجتمعات انطلاقا من:

*نفي السلطة عن الذات الإلهية.

*الاستهانة بالأنبياء والرسوم المسيئة للرسول عليه الصلاة والسلام صورة لذلك.

*تدنيس الكتب السماوية كحادثة رمي القرآن الكريم في مراحيض معتقل (غوانتنامو) وحرقها صورة لذلك.

*التشكيك في خيرية الرموز الإسلامية وتشويه تاريخها المليء بالبطولات والأخلاق العالية.

*تشويه الأحداث والوقائع الإسلامية.

*ضرب اللغة العربية وتهجين دورها الحضاري وهي اللغة التي استقت قدسيتها من قدسية النص القرآني بوصفها لغته ووعاؤه. **(العوير، ل. 2010: 50-51)**

خاتمة

يعتبر الدين من الأولويات في المجتمع، فهو يعكس هوية وامتداد الشعوب، لذلك كان احترامه ضروريا من حيث ارتباطه بالانتماء، فهو الأساس والبناء القاعدي الذي لا يمكن للشعوب أن تسير من دونه رغم محاولاتها العديدة لتغييبه، لكن الحقيقة والواقع يفند ذلك، فهو حاضر على الدوام وفي مناسبات عديدة، لسبب وحيد وهو أن المجتمع لا يمكن أن يسير ويتطور بمنأى عن الدين، فالشعارات التي تتبنى الفكر العلماني تسعى إلى التمويه والتضليل لا أكثر، ببساطة لأن المقدس حاضر على الدوام.

والإسلام يصنف اليوم ضمن خانة خاصة جدا من منطلق الهجوم الشرس الذي يطاله من طرف أوساط كثيرة، وهو ما عمق الهوة بين المسلمين وغير المسلمين، وأدخل العال في فكرة الصراع الحضاري الديني التي يقودها الإعلام بدعم من الأنظمة السياسية التي جعلت منه فوبيا حقيقية تباح فيها حرية التعبير، هذه الأخيرة التي تتوقف لمجرد الخوض في قضايا تتعلق بديانات وأشخاص بعينها.

قائمة المراجع:

– د، مصطفى. (2012). "غاضبون يستهدفون السفارات الأمريكية احتجاجا على الفيلم المسيء إلى الرسول 5 قتلى وعشرات الجرحى في جمعة الغضب وواشنطن تستنفر قوات المارينز"، جريدة الخبر، العدد 6836، السبت 15 سبتمبر ، ص 11.

– لعوير، ليلى. (2010). "العولمة وانتهاك المقدس"، سلسلة أعمال الملتقيات العولمة والهوية الثقافية، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، جامعة قسنطينة الجزائر.

– شلابي، آسيا. (2012). "الغضب يعم العواصم الإسلامية فيلم أمريكي مسيء للرسول الكريم يقلب الأرض على أمريكا". جريدة الشروق اليومي، العدد 3774، ص 10.

– شبرة، صالح فلاق. (2012). "مفتي الأزهر ومفتي القدس وعلماء يصرخون من وهران بخصوص الفيلم المسيء مع الاحتجاجات...وعلى المسلمين أن يغضبوا لله ورسوله"، جريدة الشروق اليومي، العدد 3775، ص 07.

– حمود، عبد الحليم. (2010). الإعلام التضليلي دور الدعاية الغربية في تشويه صورة الإسلام، الطبعة الأولى. لبنان: مركز الدراسات والترجمة.

– الفقيه، خالد. (2011). "فن الكاريكاتير نواة الإعلام الأولى"، مجلة مدى، العدد 02، المركز الفلسطيني للتنمية والحريات الإعلامية، أوت.

–نعمان، عباسي. (2010). "العولمة الثقافية الغربية والهوية الإسلامية: الهيمنة الناعمة"، سلسلة أعمال الملتقيات العولمة – والهوية الثقافية أ د فضيل دليو (إشراف)، مخبر علم اجتماع الاتصال للبحث والترجمة، ص 219.

–حجاب، محمد منير.(2004)." المعجم الإعلامي"، الطبعة الأولى. القاهرة: دار الفجر للنشر والتوزيع.

– الطعان، بسام.(2008). " الكاريكاتور هو فن الابتسامة المرة ليوصلك إلى الأشد حلاوة موسى عجاوي: قد ينقلب فن الكاريكاتير إلى ضده عندما يتمادى في السخرية، القدس العربي، السنة العشرون، العدد 6088، الأربعاء 31 كانون الأول (ديسمبر) 3 محرم 1430هـ.

* Le petit Larousse Illustré, en couleurs, Paris, 2010, p 172

* www.google.com https://www.noonpost.com/content/26656